تونس من الداخل

تقرير خاص عن الوضع الداخلي في تونس

المواقف التي يتخذها النظام البورقيبي في السياسة العربية والدولية هي مجرد انعكاس للاوضاع الداخلية في البلاد حيث تسيطر حفنة من اصحاب المصالح الكومبرادورية على اقتصاد ومقدرات البلاد .

ما هي الظروف الحقيقية التي يعيش في ظلها العمال والفلاحون التونسيون ؟ كيف يتعامل النظام مع القوى السياسية الوطنية المعارضة له ؟

عدد سكان تونس لا يتجاوز خمسة ملايين ، ومع ذلك فان عدد العاطلين عن العمل وصل الى مليون شخص منهم ٣٠٠ ألف غادروا بلادهم للبحث عن عمل في بلاد أخرى .

كثيرون لم يسعفهم الحظ في الحصول على جواز سفر ، فتركوا تونس خفية ، ومات بعضهم في الصحراء عطشا وجوعا قبل ان يصلوا الى غايتهم .

وترتفع اسعار السلع الاساسية في البلاد بصورة مطردة . ففي خمس سنوات (من ١٩٧٠ الى ١٩٧٥) ارتفع سعر كيلو السكر من ١٠٠ مليم الى ٣٠٠ مليم ، والبطاطا من ٤٠ مليم الى ٣٠٠ مليم ، واللحم من ٤٠٠ مليم الى دينار ونصف أو دينارين . واصبح سعر البيضة الواحدة ٦٠ مليما . ويتراوح ثمن لتر الزيت بين ٥٠٠ و ٧٠٠ مليم ، وسعر الخبز الاسود ٦٥ مليم . أما سعر السمك فقد أصبح يتجاوز بكثير قدرة العامل والفلاح على الشراء . كما ارتفعت ، بطريقة جنونية ، أيجارات المساكن . فأصبح ايجار الغرفة الواحدة ١٥ دينارا وايجار الشقة المتوسطة في المدينة ٥٠ دينارا . بينما يملك الحكام ورجال السلطة القصور : قصر للشتاء وقصر للصيف .

ويفضل « المجاهد الاكبر » ان يصرف الملايين في الرحلات والاستقبالات واقواس النصر واعياد الميلاد بدلا من أن يصرفها في بناء المسكن اللائق للمواطن التونسي .

طبقة الـ ١٣ بالمئة

وتقول مصادر تونسية ان ١٣ بالمائة فقط من التونسيين يتمتعون بـ ٥٤ بالمائة من الدخل القومي بينما يقف ٥٥ بالمائة من الشعب التونسي على عتبة البؤس المتفاقم في ظل البطالة وازدياد التضخم يوما بعد يوم .

وبلغت نسبة الاطفال الاميين بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٥ أكثر من ٣٨ بالمائة .

وفي عام ١٩٧٤ لم يتمكن ٣٨ بالمائة من الاطفال من ايجاد أماكن لهم في المدارس الابتدائية . وفي حزيران عام ١٩٧٥ رفضت السلطات تسجيل مائة ألف تلميذ في المدارس الابتدائية والثانوية ، كما رفضت تسجيل أكثر من ألفين طالب في الجامعة .

والمحرومون من التعليم أو من متابعة الدراسة هم ابناء العمال والفلاحين الفقراء . أما ابناء الاغنياء فانهم أول المقبولين في المدارس والجامعات عن طريق « وساطات » اصحاب النفوذ أو عن طريق الرشوة بالنقود .

وبساسة « الوساطات » أو « الاكتاف » يشاهدها التونسي في كل مناسبة وفي كل يوم .

فمثلا ، ابن « سي فلان » الذي يسرق العملة الصعبة من تونس لكي ينفق منها على ملذاته في خارج البلاد .. يحمل معه ما يشاء وما يشتهي ويمر بسلام من « الديوانة » . أما العامل الذي حصل على العملة بعرق جبينه نتيجة كدح متواصل خارج بلاده ، فانه يتعرض لتفتيش دقيق في « الديوانة » ويدفع ضريبة باهظة . وقد ادعى النظام انه يسمح للعائدين نهائيا بان يدخلوا اثاثهم دون أن يدفعوا ضريبة ، الا ان العمال الذين عادوا الى البلاد نهائيا ، وصدقوا مزاعم قنصلياتهم في الخارج ، فوجئوا بمطالب الديوانة لدفع ضريبة تفوق احيانا ثمن الشراء .

وبدلا من ان يتجه النظام لاقامة مصانع تكفل العمل والتقدم الاقتصادي للشعب ، فان الاخفياء في تونس يفضلون تشييد الفنادق السياحية حتى يجمعون العملات الصعبة ويسترد رأسمالهم في وقت قصير . والنظام القائم في خدمة هذه الفنادق السياحية . ففي حين يزود كل فندق بالطاقة الكهربائية مهما كان موقعه نائيا ، فان ثمانين بالمئة من القرى محرومة من الكهرباء .

وفي حين يضطر المواطنون في الجنوب والقرى الى نقل الماء بالقلة من مسافات بعيدة من الوديان والغدران ، فان كل فندق يزود بالماء العذب حتى لو أدى ذلك الى قطع المياه عن الفلاحين في الوطن القبلي وجربه لكي تمتلىء حمامات السباحة في الفنادق . ويترتب على ذلك تدهور محصول الخضروات وارتفاع الاسعار .

ودخل الشعب التونسي مرحلة الكفاح ضد الاستغلال والعبودية ، وقام العمال باضرابات عنيفة طالبوا فيها بحقوقهم الشرعية ، كما تحرك كل الشباب المضطهد للمطالبة بـ « الخبز والحرية للجماهير الشعبية » .

اجراءات الاضطهاد

ويواجه النظام التونسي الرجعي هذه التحركات بتشديد اجراءات الاضطهاد والقمع ، وقام بتشكيل شرطة خاصة لهذا الغرض ، وأصدر قانونا يعاقب بالسجن كل عامل يضرب عن العمل ويطالب بحقه ، وشن حملات الاعتقال الليلية ضد المناضلين واختطفهم من الشوارع وزج بهم في السجون رهن التعذيب لا يعلم بهم أحد طوال شهور . وعندما يسأل أهالي المعتقلين سلطات الشرطة عن مصير ذويهم ، تدعي هذه السلطات بانها لا تعرف عنهم أي شيء !

ويمارس النظام أبشع أنواع التعذيب الهمجية ضد المعتقلين والمسجونين السياسيين . وقد نشرت منظمة « العفو » الدولية تقريرا عن التعذيب في تونس جاء فيه ان الشرطة تستعمل جميع أنواع التعذيب للحصول على معلومات من المعتقلين .

ومن أساليب التعذيب المستخدمة :

ضرب المتهم عاريا ـ تقليع شعر الرأس واللحية والبدن ـ اطفاء السجائر في جسم الضحية وخاصة اعضائه التناسلية ـ تقليع الاظافر ـ الصدمات الكهربائية وخاصة في الاماكن الحساسة .

وذكر تقرير المنظمة انه يتم القاء المسجونين السياسيين في غرف صغيرة لا يدخلها ضوء النهار ، وتفرض عليهم عزلة كاملة عن العالم ، وتمنع عنهم مطالعة الكتب والمجلات (حتى الحكومية منها) كما يمنع عنهم سماع الراديو ، وتقدم اليهم كمية ضئيلة ورديئة للغاية من الطعام لا تسد الرمق .

وفي الفترة الاخيرة تفاقم الوضع الصحي للمسجونين السياسيين واصبحت حياتهم مهددة بالخطر . وأصيب ، على سبيل المثال ، نجيب العش بفقد وعيه بسبب التعذيب الطويل ، وطلب أحد اطباء مستشفى السجن نقله الى مستشفى الامراض العصبية ولكن السلطات رفضت ذلك وزجت به في غرفة العقاب !

رسالة للهدف

ورغم كل هذه الظروف ، تلقت « الهدف » رسالة من المعتقلين السياسيين داخل سجون بورقيبة يشيدون فيها بالنضال الثوري الفلسطيني .

وجاء في الرسالة :

« ان احرار الوطن العربي والعالم اليوم قد جعلوا من تحرير فلسطين قضيتهم في نضالهم ضد الاستعباد والاستغلال والاضطهاد ..

« ان قرار التقسيم الذي يلوح به العديد من الانظمة العربية طعنة لحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية المشروعة في استرجاع أرضه كاملة . وتقليص اهداف حركة التحرير الوطني العربية الى مشكلة استرجاع الاراضي العربية المحتلة خيانة سافرة لمطامح الشعوب العربية وفي طليعتها الشعب الفلسطيني . أما مناورة الضغط الاميركي التي رشح نظام السادات بطلالها فهي شكل من أشكال الخيانة المقنعة والرضوخ لارادة الاحتكارات الاميركية . ولم تكتف الانظمة الرجعية العربية بهذا الحد بل انها ذهبت الى حد محاولة تحطيم المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطيني جسديا (أيلول في الاردن ولبنان وعام ١٩٧٥ في لبنان أيضا) ..

« والحقيقة ان نضال الشعب الفلسطيني قد أثبت أن لا أمن ولا استقرار الا بالقضاء نهائيا على الكيان الصهيوني في المنطقة ومن ورائه القوى الامبريالية ...

« نحن المساجين السياسيين نضم اصواتنا الى أصوات جماهير شعبنا العربي في تونس لتحيي الثورة الفلسطينية تحية النضال والصمود والثبات ..

« ان الكفاح المسلح والحرب الشعبية طويلة الامد هي طريق النضال الوحيد للانتصار على الاعداء ولبناء فلسطين حرة ديمقراطية .

« لا مكان لغصن الزيتون الى جانب البندقية في نضالنا ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ما دامت البندقية لم تأخذ حقها في ميدان القتال » .

صورة زنكوغرافية لرسالة المعتقلين التونسيين